أبو الحسن علي الندوي

ابن تيمية

المختار الإسلامي

أبو الحسن الندوى

ابن تيمية

المختار الإسلامى
للطباعة والنشر والتوزيع
ص٠ ب ١٧٠٧ القاهرة
هاتف ٩٣٦٤٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية

١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م

اكتشاف جديد فى شخصية ابن تيمية :

عرف شيخ الاسلام ابن تيمية — بوجه عام — كعالم متكلم ، وفقيه جدلى ، ومحدث كبير ، ولا يتخيله الدارسون لكتاباته العلمية ومؤلفاته الجدلية ، اكثر من انه كان عالما ذكيا ، واسع العلم ، قوى الحجة ، غزير المــادة . والذين عرفوه عن طريق التراجم التى كتبها عامة المؤرخين ، او قاسوه على تلاميذه المتأخرين والمنتسبين اليه(١) ، لا يرون فيه شيئا أكثر من محدث جاف ، وعالم متبحر فى العلوم الظاهرة ، أما ما ذكره الحافظ ابن قيم الجوزية فى مدارج السالكين من احواله وأقواله بمناسبات شتى ، وكذلك ما ذكره العــلامة الذهبى وأمثاله فى ترجمته من اخلاقه واذواقه ، وعاداته وشمائله ، واشغاله وأعماله ، فيدل دلالة واضحة على أن شيخ الاسلام ابن تيمية يستحق بكل جدارة أن يعد من العارفين ورجال الله فى هذه الأمة ، وهنالك ينشرح كل صدر للاعتراف ، بأنه كان يتبوء تلك المكانة ، ويتمتع بجميع تلك الغايات التى لا تتيسر — بوجه عام — الا برياضات شاقة ، ومجاهدات طويلة ، ودوام الذكر

(١) عدا تلميذه النجيب الحافظ ابن قيم الجوزية الذى بحث عن ناحية استاذه الروحية الباطنة ، فى كتابه « مدارج السالكين » شرح « منازل السائرين » لشيخ الاسلام الهروى ، وأثبت فيه ، أن شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم كانا يحتــلان مكانا عاليا فى المعرفة والروحانية ، والذوق الباطنى .

والمراقبة ، وذلك ما يعبر عنه الصوفية المتأخرون بالنسبة مع الله ، « وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .

تنوع الوسائل ، ووحدة الغاية :

ولا يخفى على أصحاب البصيرة ، أن الذوق والمعرفة ، والايمان الحقيقى واليقين والاخلاص ، والاستقامة ، وتزكية الباطن وتهذيب الأخلاق ، والاتباع الكامل للسنة ، والتفانى فى الشريعة غايات حقيقية مقصودة ، تتخذ لأجلها وسائل مختلفة ، وطرق متعددة ، ولا يقصر المحققون اكتسابها على طريقة واحدة ، وقد كان الطريق القوى المؤثر للحصول على هذه الغايات فى فجر تاريخ الدعوة الاسلامية ، صحبة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، التى لا يجهل تأثيرها وقوتها أحد .

ولما حرمت امة الاسلام هذه النعمة ، قام خلفاء النبوة ، واطباء هذه الأمة فى عصورهم بوصف عوض عنها ، واخيرا ركزوا جل عنايتهم لأسباب مختلفة على الصحبة وكثرة الذكر ، ولها طريقة مدونة منقحة تعرف بنظام التصوف والسلوك ، غير أنه لا مساغ لانكار ان الحصول على هذه الغايات والمقاصد لا يتوقف على هذه الوسائل ، فان الايمان والاحتساب ، ومحاسبة النفس ، وتتبع السنة والاشتغال بكتب السنة والشمائل ، درسا وتدريسا ، وخدمة ونشرا مع الحب والاجلال ، وكثرة الصلاة على النبى صلى الله

عليه وسلم ، وخدمة الخلق والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والدعوة والتبليغ بصدق النية والاحتساب ، كل ذلك (عدا الاجتباء والموهبة ، التى يخص بها بعض الأفراد) سبب للتقرب الى الله وحصول النسبة معه ، اذا صدر عن ايمان واحتساب ، وحضور واهتمام ، ولا مانع عن ان تكون الوسائل مختلفة والطرق متعددة ، فان الغاية واحدة ، ولا شك ان جملة احوال شيخ الاسلام تدل بوضوح على انه كان يتمتع بهذه الغاية ، وذلك ما اريد ايضاحه فى السطور التالية :

ميزان كمال الانسان ، وآية بلوغه درجة الولاية والتحقيق :

ونستطيع أن نشهد لرجل بأنه كان من العارفين والمحققين الكاملين ، وممن وضع الله لهم القبول نظرا الى الأحوال والأذواق ، والعادات لعامة التى عاش فيها ، ولا يكون له مقياس ظاهر او دليل منطقى ، وقد يخطىء من رزق سلامة الفطرة وصفاء الذوق ، لكثرة ما يدرسه من أحوال العارفين ورجال الله ، ويلزم صحبتهم بملكة ووجدان ، يتمكن بهما من الحكم فى ذلك، ولكن هناك علامات واحوالا يدرك بها ، أن مستوى هذا الرجل الدينى ، أرفع من مستوى عامة الناس ، وهو يتمتع بأخلاق رجال الله ، واذواقهم ، وفهم الدين الصحيح ، مثلا ذوق خاص للعبودية والانابة الى الله

وتذوق العبادة والانهماك فيها ، ولذة الدعاء والابتهال والزهد ، والانقطاع عن الدنيا وازدرائها ، وسجية السخاء والايثار ، والتواضع ، وانكار الذات ، والسكينة والسرور ، والكمال فى اتباع السنة ، والقبول فى الصالحين ، وشهادة العلماء له ، وتصلب أتباعه ومحبيه فى الدين ، وحسن سيرتهم ، وما الى ذلك ، وبهذه المناسبة ننقل للقراء شهادات معاصرى شيخ الاسلام ، وما سجله المؤرخون فى كتبهم عن هذه القسمات التى سبق ذكرها .

ذوقه فى العبودية والانابة الى الله :

ان الذوق الحقيقى الصحيح للعبودية والانابة الى الله شهادة جلية على ان قلب صاحبه عامر باليقين ، ومغمور بجلال الله وكبريائه ، ومنور بمشاهدة قدرة الله سبحانه وتعالى وجلاله ، وبشعور العجز والضعف أمامه ، وحينما يرسخ هذا اليقين والمشاهدة فى الباطن ، يتجلى ذلك فى الأعمال والألفاظ، والفرق بين الحقيقة والصناعة فى ذلك كالفرق بين الاصل والنقل ، وهو لا يخفى على صاحب البصيرة والوجدان ، وقد قال الشاعر العربى :

« ليس التكحل فى العينين كالكحل » .

والأحوال التى عاش فيها شيخ الاسلام ابن تيمية تشهد بأنه كان متحليا باليقين والمشاهدة ، التى بعثت فيه صفة من الافتقار والاضطرار ، والعبودية

والانابة ، وقد روى انه اذا اشكلت عليه مسألة أو صعب فهم آية التجأ الى جامع فى مكان موحش ، ووضع جبهته على التراب وردد قوله : « يا معلم ابراهيم فهمنى »(١) .

يقول العلامة الذهبى :

« لم ار مثله فى ابتهاله واستغاثته وكثرة توجهه » ويقول : « انه ليقف خاطرى فى المسألة او الشىء أو الحالة التى تشكل على فاستغفر الله تعالى الف مرة أو اكثر أو اقل ، حتى ينشرح الصدر وينجلى اشكال ما اشكل » .

ولا يحول دون هذه الحالة نوع من الجلوة ، والمجالس وصخب الأسواق ، يقول :

« واكون اذ ذاك فى السوق او المسجد أو الدروب أو المدرسة ، لا يمنعنى ذلك من الذكر والاستغفار الى أن أنال مطلوبى »(٢) .

وعندما ينشأ هذا اليقين ، وذوق العبودية فى النفس ويتمكن فى الباطن ، يشعر الانسان بعجزه وافتقاره ، وضعفه وقلة بضاعته ، ويتمثل كأنه واقف على الباب الملكى بكشكوله(٣) الفارغ ويستجدى من الله رحمته وفضله .

وحياة ابن تيمية وما ذكر له من أحوال واقوال ،

(١) العقود الدرية : ص ٦ .
(٢) مدارج السالكين ج ١ ص ٢٩٦ ، طبعة « المنار » .
(٣) الكواكب الدرية – ص ١٤٥ .

ومواقف تشهد بأنه كان ينعم بنعمة الفقر وعزة التذلل ، يقول ابن القيم : « اننى لم أشاهد هذه الحالة عند اى شخص بمثل ما شاهدته فى شيخ الاسلام ابن تيمية ، فقــد كان يقول : « مالى شىء ولا منى شىء ، ولا فى شىء » وطالما كان ينشد البيت التالى :

أنا المــكدى وابن المكدى وهكذا كان أبى وجدى(١)

تذوق العبادة ، والانهماك فيها :

لا يستطيع أى انسان ان يتذوق العبادة وينهمك فيها ما لم يشعر بلذتها ويذق طعمها(٢) ، وما لم تحتل العبـــادة محل الدواء ، والغذاء والقوة ، ويصل الى درجة تصبح الصلاة فيها لعينه قرة ولروحه مسرة . اما الشيخ ابن تيمية فيشهد معاصروه والمطلعون على احواله بأنه كان له القدح المعلى فى هذه الثروة الغالية ، وكان له ذوق خاص فى العبادة ، والمناجاة والخلوة ، وكان شديد الشغف بهذه الناحية ، عظيم الانهمـــاك فيها . جاء فى الكواكب الدرية :

« وكان فى ليله منفردا عن الناس كلهم ، خاليا بربه عز وجل ، ضارعا اليه ، مواظبا على تلاوة القرآن العظيم ، مكررا لأنواع التعبـــدات الليلية والنهـارية وكان اذا دخل فى الصلاة ترتعد فرائصه وأعضاؤه حتى

(١) وعاء المتسول الذى يجمع فيه رزقه .

(٢) وقد ورد فى الحديث : « جعلت قرة عينى فى الصلاة » (رواه النسائى) وكان النبى صلى الله عليـــه وسلم ، يقول : « يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها » . (رواه أبو داوود) .

يميل يمنة ويسرة(١) .

ولا شك فى أن قوة أصــحاب الذوق ، وأهل القلوب ونشاطهم ، انما يقوم على الذكر والعبادة ، فاذا اختل ذلك ، انهارت قواهم ، ويشعرون كأنهم اصيبوا بفاقة ، يقول ابن القيم :

« وكان اذا صلى الفجر يجلس فى مكانه ، حتى يتعالى النهار جدا ، يقول هذه غدوتى لو لم اتغد هذه الغدوة سقطت قواى »(٢) .

ويرزق الله سبحانه وتعالى ، الاســتقامة بعد هذا الذوق والاهتمــام ، فيصبح الذكر والعبــادة ، والمواظبة عليهما طبيعة الانســان ، يقول العــلامة الذهبى : « له أوراد وأذكار يدمنها بكيفية وجمعية »(٣) .

الزهد فى الدنيا ، وازدراؤها :

لا ينبعث الدافع الصحيح الخالص الزهد فى الدنيا وازدرائها ما لم تنكشف حقيقة الدنيا بوضوح ، وما لم يطرأ على المرء حال : «ان الدار الآخرة لهى الحيوان» ، « وما عند الله خير وأبقى » . وذلك لا يتحقق بدون اليقين والمعرفة الصحيحة والاتصال بالله ، وقد ذكر معاصروه أحوال زهد شيخ الاسلام وتجرده من الدنيا وافتقاره الى الله ، يقول زميله فى الدراسة ومعاصره الشيخ علم الدين البرزالى المتوفى ســنة ٧٣٨ هـ :

(١) الكواكب الدرية ـ ١٥٦ .

(٢) الرد الوافر ـ ص ٣٦ .

(٣) الرد الوافر ـ ص ١٨ .

« وجرى على طريقة واحدة من اختيار الفقر والتقلل من الدنيا ورد ما يفتح به عليه »(١) .

ومن انصبغ بهذه الصبغة ، ورزقه الله نعمة غنى القلب الخالدة ، تلاشت فى عينه مملكة كسرى وقيصر ، ورأى النظر اليها كفرانا بنعمة الله تعالى ، وجحودا لمنته ، وهو ينشد فى نشوة الحب والمعرفة ما معنـــاه :

« اننى لا ارضى باعطاء مسوحى عوضا عن حالة الملوك ، ولا ارضى ببيع فقرى بملك سليمان ، ان الثروة التى نلتها فى آلام الفقر لن أرضى باســـتبدالها بتنعم الملوك » .

ومن جهل حاله يسىء به الظن ، ويتهمه بالطمع فى الملك والحكم ، ولكنه يتأسف على جهله وفســـاد ذوقه ، ويقول : « كيف يمكن النظر الى هـــذا الملك الفانى بعد هذه الثروة الغالية ، والنعمة الخالدة ؟ » ، وقد كانت هذه قصة الشيخ ابن تيمية ، فقد قال له الملك الناصر ذات مرة : سمعت بأن الناس أطاعوك ، وأنت تفكر فى الحصول على الملك . فرد عليه الشيخ قائلا بصوت عال سمعه الناس الحاضرون كلهم :

« انا أفعل ذلك ؟ والله ان ملكك ، وملك المغل لا يساوى عندى فلسا »(٢) .

السخاء والايثار :

---

(١) الرد الوافر ــ ص ٦٥ .

(٢) الكواكب الدرية ــ ص ١٦٦ .

ومما يتصف به رجال الله ، والعاملون بالسنة النبوية بصفة خاصة ، هو السخاء والايثار ، وقد بسط الحافظ ابن قيم الكلام فى أسباب شرح الصدر فى كتابه : « زاد المعاد » وذكر ما للاحسان الى الخلق ، ونفعهم بالمال والجاه ، والبدن من التأثير العميق فى انشراح الصدر ، وطيب النفس ، ونعيم القلب »(١) .

وقد اعترف معاصروه ، وأحبته لسخائه ، وأثنوا على جوده وانفاقه ، وقد جاء فى (الكواكب الدرية) : « وهو احد الأجواد الأسخياء الذين يضرب بهم المثل »(٢) .

ويتحدث الحافظ ابن فضل الله العمرى ، أحد معاصرى الشيخ عن جوده وسخائه ، فيقول :

« كانت تأتيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة والأنعام والحرث ، فيهب ذلك بأجمعه ، ويضعه عند أهل الحاجة فى موضعه ، لا يأخذ منه شيئا الا ليهبه ، ولا يحفظه الا ليذهبه »(٣) .

وقد بلغ من السخاء والايثار أن كان يخلع ما كان عليه من ثياب ، ويقدمها الى السائل ، اذا لم يجد شيئا آخر ، يقول الحافظ ابن فضل الله : « كان يتصدق ، حتى اذا لم يجد شيئا نزع بعض ثيابه فيصل به

---

(١) راجع زاد المعاد — ج ٢ ، ص ١٥٤ ، طبع المطبعة المصرية .
(٢) الكواكب الدرية — ص ١٤٦ .
(٣) الكواكب الدرية — ص ١٥٨ .

الفقراء »(١) .

ويقول احد الرواة :

« وكان يتفضل من قوته الرغيف والرغيفين ، فيؤثر بذلك على نفسه »(٢) .

ومن مواقف الايثار المحرجة ان يعامل المرء اعداءه ومعارضيه ، برحابة الصدر ، بل بالعفو عنهم ، والاحسان اليهم ، وفوق ذلك بالدعاء والنصح ، وهذا منصب خطير لا يناله الا من تجاوز حدود الكبر والانانية ، ونسى نفسه ، وأنعم الله عليه بنعمائه ورزقه من السكينة والسرور ما يذوب امامه كل عداء ومعارضة ، فيجد قلبه عامرا بدافع النصح والرثاء لأعدائه ، وقد سبق أنه عندما اطلق سراحه فى سنة (٧٠٩ هـ) مرة أخرى خلا به السلطان واستفتاه فى قتل اولئك القضاة الذين قاموا بحماية « جاشنكير » وأفتوا بعزل السلطان ، وزاد له السلطان قائلا : انهم أثاروا عليك الضجة والأقاويل ، وآذوك ، فما وسع ابن تيمية الا أن مدحهم وأثنى عليهم أمام السلطان ، وشفع لهم بالعفو والصفح عنهم ، ومنعه عن قتلهم . وقد مدحه القاضي ابن مخلوف المالكى الذى كان من اشد معارضى شيخ الاسلام ومنافسيه ، بقوله : « ما رأيت كريما واسع الصدر مثل ابن تيمية ، فقد اثرنا الدولة ضده ، ولكنه عفا عنا بعد المقدرة ، حتى دافع عن انفسنا وقام

(١) الكواكب الدرية ـ ص ١٥٧ .

(٢) الكواكب الدرية .

بحمايتنا » .

يقول تلميذه النجيب ورفيقه فى كل آن : « كان يدعو لأعدائه ، ما رايته يدعو على واحد منهم ، وقد نعيت اليه يوما أحد معارضيه الذى كان يفوق الناس فى ايذائه وعدائه ، فزجرنى ، واعرض عنى ، وقرأ . « انا لله وانا اليه راجعون » ، وذهب لساعته الى منزله ، فعزى أهله ، وقال : « اعتبرونى خليفة له ، ونائبا عنه ، وأساعدكم فى كل ما تحتاجون اليه » ، وتحدث معهم بلطف واكرام بعث فيهم السرور ، فبالغ فى الدعاء لهم حتى تعجبوا منه » .

ان مكانة العفو والاحسان ، والشفقة والرحمة مع الأعداء ، ارفع وأسمى من مكانة الايثار المالى والمادى بكثير ، انها مكانة لا يسعد بها الا الأولياء والصديقون ، وقد كان لابن تيمية قدم راسخة فى هذه المكانة ، وكأنه كان ينشد بلسان حاله ما أنشده الشاعر الربانى الذى سعد بهذه المكانة بالفارسية ، وهذا معناه :

« ان من ضاق صدره عن مودتى ، وقصرت يده عن معونتى كان الله فى عونه وتولى جميع شئونه ، وان كل من عادانى وبالغ فى ايذائى لا كدر الله صفو أوقاته ولا اراه مكروها فى حياته وان كل من فرش الأشواك فى طريقى ، وضيق على السبل ، ذلل له كل طريق ، وحالفه النجاح والتوفيق » .

التواضع وانكار الذات :

ان التواضع وانكار الذات من خصائص رجال الله الخاصة ، وهو المنصب الأعلى فى الدين ، افضل من الف فضيلة والف كرامة ، ولا يبلغ الانسان هذه المنزلة ، الا ان تموت الأنانية ، ويتزكى قلبه من جميع الشوائب والعلائق ، وقد كان شيخ الاسلام متحليا بهذه الفضيلة الكبرى على فضائله العلمية ، وسموه الدينى والعلمى واقواله تشهد بما كان يتصف به من التواضع والربانية وهضم النفس ، وانكار الذات . يقول الحافظ ابن قيم : انه كثيرا ما كان يقول : « مالى شىء ، ولا منى شىء ، ولا فى شىء » ، وان مدحه احد فى وجهه ، قال :

« والله انى الى الآن اجدد اسلامى كل وقت ، وما أسلمت بعد اسلاما جيدا »(١) .

وقد يقول لمن مدحه : « انا رجل ملة ، لا رجل دولة »(٢) .

واذا بلغ الانسان الى هذه المنزلة من العبودية وانكار الذات ، لا يرى له حقا على أحد ولا يطالبه بشىء ، ولا يعاتب أحدا ولا ينتقم لنفسه فى أى حال ، وقد بلغ به الله الى هذه الدرجة ، ويقول ابن قيم :

« سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : « العارف لا يرى له على احد حقا ،

(١) مدارج السالكين ــ ج ١ ، ص ٦٩٦ .

(٢) الكواكب الدرية ــ ص ١٦٤ .

ولا يشهد له على غيره فضــلا ، ولذلك لا يعــاتب ولا يطالب ولا يضارب »(١) .

ويعلم المطلعون على أحواله جيدا انه فى ذاك انما يتحدث عن نفسه ويحكى حاله .

السكينة والسرور :

وبعد هــذا الايمان واليقين ، وهــذا الاتصال الصحيح بالله تعالى والتحرر من الخلق ، وانطلاق القلب من القيود المادية ، يحصل للعارف الســكينة والسرور يذوق بهما لذة النعيم والجنة فى الدنيـا . ويقول ابن القيم ، ان شيخ الاسلام قال مرة :

« ان فى الدنيا جنة ، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة »(٢) .

ولا يخفى على أهل البصائر ان عباد الله تعالى المخلصين يتحققون فى الدنيا بصفة نعمة : « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ويذوقون لذتهــا ، ويرون نموذجها فى الدنيا ، ولا شك ان شيخ الاسلام ظفر بهذه النعمة ، كما ذكر اصحابه ، وقد قال مرة فى حماس :

« ما يصنع أعدائى بى ؟ ان جنتى وبستانى فى صدرى ، ان رحت فهى معى لا تفارقنى »(٣) .

وظلت نسمة السكينة والرضا هذه ، لا تفارقه فى حياته ، وبعد مماته ، يقول ابن القيم :

(١) مدارج السالكين ـ ج ١ ، ص ٤٩٦ .

(٢) الرد الوافر ـ ص ٣٦ .

(٣) الوابل الصيب ـ ص ٦٦ .

« زرته ذات ليلة فى الرؤيا ، وذكرت له بعض الأعمال القلبية ، فقال : « أما أنا فطريقى الفرح والسرور به »(١) • ويقول ابن قيم فى « مدارج السالكين » :

« وهكذا كانت حاله فى الحياة ، يبدو ذلك على ظاهره ، وينادى به عليه حاله »(٢) •

الكمال فى اتباع السنة :

وتبتدىء هذه المكانة (مكانة القبول والولاية) باتباع السنة ، وتنتهى بكمال اتباع السنة ، وقد اعترف الناس جميعا حتى الأعداء بشغف شيخ الاسلام بالسنة وانهماكه فى الحديث ، ولم يكن هذا الشغف والانهماك علميا أو نظريا فقط ، وانما كان يتصل بالسنة عمليا وفى الظاهر ، وقد شهد معاصروه انهم لم يروا جلال مكانة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والاهتمام باتباع سنته عند أحد من العلماء ، مثل ما راوا ذلك عند شيخ الاسلام ابن تيمية ، يقول الحافظ سراج الدين البزاز ، وهو يقسم على الله :

« لا والله ما رايت احدا أشد تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا احرص على اتباعه ، ونصر ما جاء به منه »(٣) •

---

(١) اغاثة اللهفان •

(٢) مدارج السالكين •

(٣) الكواكب الدرية ـ ١٤٩ •

وقد كانت هذه الناحية تستحوذ عليه ، وتسيطر على قلبه ، فكل من رآه شهد قلبه بكمال اتباعه للسنة ، وحبه العميق للرسول صلى الله عليه وسلم ، يقول العلامة عماد الدين الواسطى :

« ما راينا فى عصرنا هــذا من تستجلى النبوة المحمدية وسنتها من اقواله وافعاله ، الا هذا الرجل ، يشهد القلب الصحيح، أن هذا هو الاتباع حقيقة »(١).

قبوله فى الصالحين ، وشهادة علماء عصره له :

ان ثناء حشد من الناس على رجل لا يعتبر دليلا على قبوله عند الله ، واستقامته وعلو منزلته ، اما اذا شهد له رجال العلم والبصيرة واصحاب الصلاح والتقوى فى عصره ، فلا شك انه يعتبر دليلا على قبوله وعلو منزلته ، ولابد من ان يتصف أتباعه ومحبوه ، وجلساؤه بالصلاح والسداد ، وحسن الاعتقاد والتقوى والاهتمــام بالآخرة ، ويمتــازوا من انباء عصرهم فى تدينهم ، وحسن سيرتهم ، وهذا كان شأن شيخ الاسلام ابن تيمية ، فقد شهد بفضله وصحة اعتقاده ، وسلامة عقيدته ، ومكانته العالية ، كبار رجال العلم والبصيرة، واصحاب الصلاح والرشد فى عصره ، واعترفوا بعلو منزلته فى ذلك ، فمدحوه ، واثنوا عليه . اما معارضوه، فقد كان معظمهم ممن يتزلفون الى الدولة ، ويطلبون

---

(١) جلاء العينين ـ ص ٨ .

الدنيا ، ويطمعون فى الجاه والمنصب دائما(١) ، يقول مؤلف « الكواكب الدرية » :

« قالوا ومن أمعن النظر ببصيرته . لم ير عالما من اهل اى بلد شاء موافقا له الا ورآه من اتبع علماء بلده للكتاب والسنة ، واشغلهم بطلب الآخرة والرغبة فيها ، وابلغهم فى الاعراض عن الدنيا ، والاهمال لها ، ولا يرى عالما مخالفا له ، منحرفا عنه ، الا وهو من اكبرهم تهمة فى جمع الدنيا ، واكثرهم رياء وسمعة ، والله أعلم »(٢) .

ويقول العلامة الذهبى :

« واخيف فى نصر السنة المحفوظة حتى أعلى الله تعالى مناره ، وجمع قلوب اهل التقوى على محبته والدعاء له »(٣) .

الفراسة والكرامات :

وبالرغم من ان الكشوف والكرامات ، لا تعد جزءا من الولاية والقبول ، ولا دليلهما ، وقد أوضح المحققون ، فقالوا « الاستقامة فوق الكرامة » ، وهى قضية لا تقبل الجدل ، ولكن الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى ينعم على كثير من عباده المخلصين بهذه النعمة ،

(١) ويستثنى من هذه الكلية من عارضه لسوء تفاهم ، أو اختلفوا معه فى أصول بعض المسائل العلمية فحسب ، وما من عام الا وقد خص منه البعض .

(٢) الكواكب الدرية ــ ١٦١ .

(٣) جلاء العينين ص ٦ .

فتظهر من أيديهم أو ألسنتهم وقائع تؤيد قبولهم ووجاهتهم عند الله والناس ، وقد اتفق أهل السنة على ان « كرامات الأولياء حق » ، وتؤيد ذلك بعض الوقائع والشواهد فى الكتاب والسنة ايضا ، وقد جاء فى مؤلفات شيخ الاسلام اثبات هذه الحقيقة ، وتقرير هذه المسألة .

وقد شهد معاصروه ، وتلاميذه ومحبوه ، بتلك الوقائع التى حدثت كخرق للعادة والكرامة ، واعترف بها المتأخرون ، وقالوا لا يمكن انكارها لكثرة ما عرفت ونقلت ، يقول العلامة بدر الدين العينى ، صاحب « عمدة القارىء صحيح البخارى » فى « تقريظ الرد الوافر » :

« وهذا الامام مع جلالة قدره فى العلوم نقلت عنه على لسان جم غفير من الناس كرامات ظهرت منه بلا التباس »(١) .

والفراسة الصادقة شعبة من هذه الكرامات التى يكرم الله بها عباده المتقين وكبار المؤمنين ، وتحكى لهذه الفراسة حكايات عجيبة ، ذكر الحافظ ابن القيم(٢) طائفة منها فى كتابه : « مدارج السالكين » وغيره من مؤلفاته الأخرى ، يقول فى « مدارج السالكين » :

« ولقد شاهدت من فراسة شيخ الاسلام امورا عجيبة ، وما لم نشاهده منها اعظم واعظم ، ووقائع

(١) الرد الوافر ص ٨٩ .

(٢) مدارج السالكين ـ ج ٢ ، ص ٢٥٠ . ف

فراسته تستدعى سفرا ضخما .

ونظرا الى كل ذلك قال العلامة على بن سلطان محمد القارى الهروى المتوفى بمكة سنة ١٠١٤ هـ : « ومن طالع شرح السائرين تبين له انهما(١) كانا من اكابر اهل السنة والجماعة ، ومن اولياء هذه الامة » (٢)

والله الهادى الى سواء السبيل .

---

(١) يعنى شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية .
(٢) المرقاة شرح المشكاة ـ المجلد ٤ ـ الصفحة ٤٢٧ .

مطبعة الاعتصام بالقاهرة
رقم الايداع ١٩٧٤/٣٩٣٨

عرف شيخ الاســلام ابن تيمية - بوجه عام - كعالم متكلم ، وفقيه جدلي ، ومحدث كبير ، ولا يتخيله الدارسون لكتاباته العلمية ومؤلفاته الجدلية ، أكثر من أنه كان عالما ذكيا ، واسع العلم ، قوى الحجة ، غزير المادة . والذين عرفوه عن طريق التراجم التى كتبها عــامة المؤرخين ، أو قاسوه عــلى تلاميذه المتأخرين والمنتسبين اليه ، لا يرون فيــه شيئا أكثر من محدث جاف ، وعالم متبحر في العلوم الظاهرة ، أما ما ذكره الحافظ ابن قيم الجوزية في مدارج السالكين من احواله وأقواله بمناسبات شتى ، وكذلك ما ذكره العــلامة الذهبى وأمثاله في ترجمته من اخلاقه وأذواقه ، وعاداته وشمائله ، وأشغاله وأعماله ، فيدل دلالة واضحة على أن شيخ الاسلام ابن تيمية يستحق بكل جدارة أن يعد من العارفين ورجال الله في هذه الأمة ، وهنالك ينشرح كل صــدر للاعتراف ، بانه كان يتبوء تلك المكانة . ويتمتع بجميع تلك الغايات التى لا تتيسر - بوجه عام - الا برياضات شاقة ، ومجاهدات طويلة ، ودوام الذكر والمراقبــة ، وذلك ما يعبر عنه الصوفية المتــأخرون بالنسبة مع الله ، « وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .

١٤٧٦

١٩٧٦

٣

المختار الإسلامي
للطباعة والنشر والتوزيع
ص. ب ١٧٠٧ القاهرة
هاتف ٩٣٦٤٩٦

مطبعة الاعتصام بالقاهرة